الموقف الإيديولوجي لمفدي زكريا من قضايا الثورة الجزائرية في ديواني: اللّهب المقدّس وإلياذة الجزائر أنموذجًا

د. رضا عامـــــــر
جامعة عبد الحفيظ بوالصوف- ميلة
aorida12@gmail.com

الملخَّـص:

لقد كانت الثورة الجزائرية ومازالت ملهمة الشعراء الذين سخروا أقلامهم وحياتهم ثمنا للإنعتاق من قمع الاستعمار الغاشم أينما كان ووجد، فكان الشعراء الجزائريون، ومنهم الشاعر الثوري،والبطل المجاهد **"مفدي زكريا"** مشاركًا في الثورة التحريرية بشعره في كلّ مكان داخل الوطن وخارجه، كما بقي نموذجًا وفيا للمثقف الشاعر في البحث عن آليات التغيير والمساهمة فيه عبر كلّ الأصعدة حتى ساهم بشكل مباشر في نهضة أمته الجزائر.

الكلمات المفتاحية: الثورة الجزائرية- الشعراء- مفدي زكريا- المثقف- نهضة أمته.

Résumé :

Ce fut la révolution algérienne et est toujours poètes inspirants qui se moquaient de leurs plumes et leur vie pour l'émancipation de l'oppression du colonialisme brutal où il a été trouvé, était les poètes algériens, dont le poète guerrier héros révolutionnaire **"Moufdi Zakaria"** participent à la révolution partout à l'intérieur et à l'extérieur du pays cheveux éditorial, est également resté un modèle du poète cultivé VIA dans la recherche de mécanismes de changement, et de contribuer à ce à tous les niveaux, même directement contribué à la renaissance de la nation Algérie.

Mots clés: Révolution Algérien - Poètes- Moufdi Zakaria- intellectuel - la nation de la Renaissance.

Abstract:

It was the Algerian revolution and is still inspiring poets who mocked their pens and their lives for the emancipation from the oppression of colonialism brutal wherever it was found, was the poets Algerians, whom the poet revolutionary hero Warrior **"Moufdi Zakaria"** participate in the revolution editorial hair everywhere inside and outside the country, also remained a model the VIA cultured poet in the search for mechanisms of change, and

contribute to it on all levels, even directly contributed to the renaissance of the nation Algeria.

Keywords: Algerian révolution - Poètes- Moufdi intellectual Zakaria- - Renaissance of his nation.

مدخـــــــل:

لما كانت الثورة التحريرية المباركة هي الوسيلة الفعالة الوحيدة لمواجهة الاستعمار الفرنسي في ظلّ التغيرات والتحولات العالمية من أجل حرية الشعوب ونيل استقلالها،كان دور الشاعر الجزائري لا يقلّ جدارة، وأهمية عن نظيره المجاهد بالسلاح لمواجهة طغيان، وبطش المستعمر الفرنسي بما يخدم مصلحة الأمة ويحافظ على بقائها واستمرارية نموها، فإنّ الحاجة تبدو ماسة لتربية جيل من المثقفين قادرين على مجابهة "**تحديات الثورة الجزائرية**" من جهة في ظلّ أزمات المنطقة العربية، والإفادة منها من جهة أخرى، من خلال تربية جيل مثقف واعي يستطيع صناعة مستقبل ثقافي واعي يحمي هويتنا الثقافية والتاريخية والحضارية في ظلّ التحديات المتنوعة، والهجمات الغربية الحاقدة على الشعوب المدافعة عن حقوقها ووجودها، وعليه يمكن تحديد مشكلة البحث في السؤال الآتي:(**إلى متى سيظلّ الشاعر الجزائري واعيًا بمسؤولياته ومحتوياتها الثقافية والحضارية في ظلّ الأزمات التي تعصف بالمنطقة العربية ومنها الجزائر ؟**).

إنّ شعر الثورة الجزائرية بكل تجلياته هو وثيقة تاريخية مجيدة تحمل في طياتها حمولات معرفية عميقة حول واقع الكفاح بشتى أشكاله من أجل نيل الحرية، ولعلّ ما أقدم عليه الاستدمار الفرنسي من جرائم حرب متعددة فوق أرض الجزائر الطاهرة بشكل خاص لهو العار بعينه أمام صمت الرأي العام العالمي ومنظمات حقوق الإنسان، وتقاعس بعض القادة السياسيين

الأشقاء والأصدقاء من أجل رفع الغين عن الشعب الجزائري الأعزل الذي دفع ثمن حريته غاليًا في الوقت الذي تحررت فيه العديد من الدول العربية، ولم تشهد حملة إبادة شرسة مثلما شهدته الجزائر طيلة **(132)** سنة، الأمر الذي جعل الشعب الجزائري يري في حمل السلاح، والموت في ميادين الوغى من أجل الوطن شرف كبير بعد خيانة الأصدقاء وتخاذلهم حول القضية الجزائرية.

في ظلّ الوضع المزري في نهاية الأربعينيات وبداية الخمسينيات من القرن العشرين كانت "**القصيدة الثورية**" في الجزائر تخوض غمار التوثيق والإحصاء والصراع الفكري التاريخي مع الاستعمار الفرنسي تارة، ومع الخونة من أذناب المستعمرين ورموزهم تارة ثانية، فنهض حينها العديد من الشعراء الجزائريين الوطنيين الذين شغلتهم الثورة، وشَغلوا العالم بمعاركها الخالدة، منهم الشاعر الرمز "**مفدي زكريا**" الذي ألهم العالم بشعره وثورته ووطنيته التي ليس لها حدود، فكانت قصائده وثيقة تاريخية مزلزلة، وبالغة الأهمية في تاريخ الجزائر المجيد، وبشكل خاص لدى نخبة الشعراء المحدثين الذين وجدوا في شخصية "**مفدي زكريا**"الإنسان الثوري والرمز والعاشق لوطنه حتى الثمالة، فكان شعره مصدرًا للنهل منه، والقرض على منواله من أجل رسم طريق الحرية والإنعتاق من قيود الاستدمار الفرنسي البغيض، الذي أذاق المجتمع الجزائري بكلّ أطيافه آلام التنكيل والتقتيل والتشريد فانطلقت حناجر الشعراء تندد بجرائم المستعمر وتدفع بالشعب الجزائري إلى طلب الحرية.

- المحور الأول: دور المبدع في النّضال الثوري

يُعَدُ الشعر من أرقى أنواع الفنون الأدبية، ففيه تنطلق قريحة الأديب نحو تقديم رؤية عميقة لواقعه بصورة فنية،جمالية يتواصل بها « في عالم الجمال والوجدان لأنه يرى الأشياء والأحاسيس رؤية طازجة، ليست نظرته وليدة المنطق، أو العلم ولكنها وليدة الحدس، وليست أدواته هي التحليل والتركيب، بل هي الخيال المضيف»[1]،وقد يستعير المبدع بعض أدواته الأيديولوجية ومعانيها ورموزها ودلالاتها من أجل تبليغ رسالة ما للمتلقي الذي يساهم بطريقة أو بأخرى في خلق التفاعل الفني/الجمالي مع المثقف **(المبدع)** سياسيا، وذلك من خلال عرض مراسيم التأبين للشخصيات المناضلة من جهة أو الرفع من مكانة شخص ما أو الحط من قدره من جهة آخرة.

وقد تعددت أشكال الصراع "**الثوري/ السياسي**" الذي خاضه الشاعر الجزائري أثناء ثورة التحرير المباركة، بعدما تمكن من خوض غمار البحث عن الحرية، والمشاركة في أخطر المهام البطولية-حرب التحرير- فكلل عمله بالتقدير والاحترام لبطولاته الثورية من كافة أطياف الشعب الجزائري خاصة والعربي عامّة، والتاريخ يذكر لنا العديد من بطولات الشعراء الجزائريين بداية من "**الأمير عبد القادر الجزائري**" ،إلى "**رمضان حمود**"، و"**عبد الكريم العقون** " إلى" **محمد العيد آل خليفة، أحمد سحنون، بلقاسم خمّار، أبو القاسم سعد اللّه، مفدي زكريا**"...إلخ، كلّ هؤلاء الشعراء المثقفون، المناضلون، قد خاضوا رحلة تثقيف شعوبهم من خلال بثهم للوعي الثقافي للثورة الجزائرية الخالدة مؤّكدين على دورهم في تحرير وطنهم من رهن الاستدمار الفرنسي بشتى الوسائل المشروعة ،وغير المشروعة بداية من النضال بالسلاح إلى النضال بالقلم، وغير ذلك من الأعمال البطولية الجليلة التي كانت تلقى الثناء، والترحيب من قبل الشعب الجزائري الذي كان

في أمسّ الحاجة لمن يأخذ بيده إلى ولوج أبواب الحرية والاستقلال الذي كان الاستدمار الفرنسي الغاشم حائلاً لتحقيقها.

1-1. دوافع الشّـــــعر الثوري:

عندما نُقرن فنّ الشعر بالثورة المسلحة فنحن أمام متعتين جماليتين: متعة الفن الشعري بخياله وتصويره وموسيقاه، ومتعة الموضوع بزخمه وهوله وروعته التي تركت آثارها في نفوس الجزائريين، فهذا هو حال الشعراء مع الثورة الجزائرية العظيمة التي أذهلت العالم ببطولات أبنائها، ورسمت للجزائر لوحة عزّ خالدة لا تؤثر عليها العوامل والمتغيرات، ومهما يكن من أمر، فإنّ عظمة الثورة الجزائرية تعدّ محطة من محطات جمالية الشعر العربي، ومصدرا مهما من مصادر الإلهام، ورغم كل ما قلنا فإنّ الشّعر الثوري الجزائري الذي تناول الثورة الجزائرية يعدّ سجلاً تاريخيًا هاما في توثيق بطولات، وأمجاد الثوار والمجاهدين الذين قدموا أنفسهم قربانًا لحماية الوطن واسترجاع كرامته، فقد تعددت مناقبهم ومواضعهم من تمجيد للشهداء، ورفض لأساليب الاستعمار الفرنسي المحتل الغاصب، وحثّ للشعب الثائر على الصمود والمواجهة، وذمّ لجرائم الاستعمار ضدّ العزل، وكشف للخونة، وغيرها من المواضيع التي أبدع فيها الشاعر الجزائري، وبقدر ما تشرفت ثورتنا المجيدة بجهود هؤلاء الشعراء، فقد تشرفوا هم كذلك بها، وهذه هي النتيجة الطبيعية لتلاحم الشعر الثوري مع الأحداث التاريخية الجليلة، ومواكبتها ليبقى الشعر شاهدا عليها، ومساندًا لأحداثها التي عايشها الشعراء، وتجرعوا مراراتها مثل **المثقف/الشاعر** الرمز" **مفدي زكريا**" شاعر الثورة الجزائرية وصانع أمجادها وبطولاتها، وقد تنوعت دوافع الشعر الثوري الجزائري إلى دافعين: سياسي واجتماعي.

أ-الدافـــــــــــــع السياسي:

يجدر بنا الوقوف عند الدافع السياسي الذي كان هدفًا للعديد من الشعراء فالنزاع المسلح مع الاستدمار الفرنسي الغاشم كان سببًا مباشرًا في الحثّ على الجهاد باعتباره أفضل العبادات وأشرف المنازل خاصة الاستشهاد في سبيل الله والوطن في ساحة النزال، وهذا ما جعل المعجم الشعري الوطني غنيا بكلّ المعاني ،والعبارات الدالة على شرف الجهاد والداعية إلى المطالبة بالاستقلال فالعلاقة بين الأدب والسياسة خصبة ومعقدة، وليس« للسياسة في الأدب أن تحصر بالمعنى التقني فذلك ينفي الأدبية، السياسة في الأدب تحصر بمعناها التاريخي أي بما هي أشكال لوعيه وممارسته الحياة الاجتماعية، والأدبية ليمارس السياسة في إنتاجه ولكن بأدواته،(...) وما أصعب ذلك عندما يكون الشعر هو أداة الرؤية»[2]،كما إنّ تطور الأحداث التاريخية و السياسية في بداية الخمسينيات من القرن العشرين والتي توجت باندلاع الثورة التحريرية المظفرة، حيث دفعت الشاعر الجزائري إلى رفض البقاء معزولاً عما يجري من أحداث سياسية تدور حوله بل أنّه أصرّ على المشاركة فيها بشكل واضح ومباشر وأن يسجل وجوده عمليا وعلنيًا في ثورة الفاتح من "**نوفمبر 1954**م" إذْ اضطلع بواجبه في العمل الثوري جنبًا إلى جنب المجاهدين البواسل، من خلال تنظيم صفوفه وتجنيد قريحته الشعرية تخليدًا لتاريخ الثورة ونضالها السياسي والمسلح معا في ثنائية متناغمة حتى يتحقق النصر على أيدي الثّوار.

أمَّا في فترة الاستقلال، فقد توقف نظم كبار الشعراء من الـــذين واكبـــوا الثورة الجزائرية المسلحة، وهذا راجع لأسباب تاريخية واجتماعيـــة وثقافيـــة وحتى إيديولوجية لا نجد لها تفسيرًا موضوعيًا رغم أنّ هذا الشعر « حامل للقيم وتجارب »[3]،خطّها المبدعون الجزائريون بأقلامهم، ومع ذلك هجـــروا

قوافي الشعر وبحوره، وكأنّ الوطن لم يعد يستحق التغني به أكثر ما حظـــي به سلفاً من اهتمام كما نعثر على أشكال من مرارة الخيبة غير المتوقعة لما حدث في الوطن الجزائري بعد الاستقلال من تسابق محموم على الكراســـي ،والمناصب السياسية التي كانت تغري الكثير مـــن رجـــالات الثـــورة مـــن الوطنين والمجاهدين بشكل ملفت للنظر فكان الانقلاب العسكري نتيجة حتمية لذلك ؛ فهذا الانحراف الخطير في سلوك رجالات الثورة الجزائريـــة خلـــق عزوفاً ودهشة عند المثقفين وبشكل خاص عند(**مفدي زكريا**)،كما نجده لدى شعراء السبعينات والثمانينات، وحتى جيل التســـعينيات أيضـًـا مـــن القـــرن الماضي.

ب-الدافع الاجتـــماعي:

إنّ الشاعر الجزائري في نهاية المطاف« مسؤول عن تقدم مجتمعه وتأخره باعتباره مشاركا فيه متأثرا به مؤثرا فيه »[4] ،فقد كان الشاعر الجزائري يذود عن وطنه في أوقات السلم والحرب، ولا تثني عزيمته أية معضلة فهو بمثابة الصحفي في نقل الأخبار وتفنيدها، انطلاقا من أنّ الشعر الثوري الجزائري تميز بالروح الوطنية والدفاع عن الحرية والكرامة، فكان السجل الصادق للنبض الاجتماعي والثقافي والديني، حيث سجل الكثير من الحوادث التاريخية، فتابع معارك جبهة التحرير الوطني السياسية والمسلحة في كامل ربوع الجزائر مسجلاً انتصاراتها وهزائمها، وحارب الظلم والطغيان بكل أشكاله الذي شنه الاستعمار وعملاؤه من المرتزقة، والخونة وصور تلك المشاهد بدافع الحماس المشبع بوطنية الجزائر التي كانت دافعًا قويًا لهؤلاء الشعراء من أجل تلاحم لغة الأوزان والقوافي مع لغة القنابل والرصاص

فكانت لكل واحد منهم مقطوعته الموسيقية التي تساند الثورة بطريقتها، وتظهرها للعالم جماليتها التي لا حدود لها.

2-1. موضوعات الشّعر الثّـــــــوري:

انطلاقا من الإيمان الراسخ بدور الشاعر الفعّال عبر كل الجبهات، فقد أدرك مسؤوليته، فنهض وقاوم داخل صفوف الثورة المسلحة بنظمه الشعر بكل عزم وتصميم وإرادة صلبة تعزز صفوف المجاهدين وتلهم كفاحهم في الأرياف والمدن بكل القصائد النضالية التي تحكي ثورتهم وأمجادهم الخالدة ،وبسالتهم في معارك الشرف ضد الاستعمار الفرنسي، وهذه هي النتيجة الطبيعية لتلاحم المثقف الشاعر الثوري الجزائري مع كافة الأحداث التاريخية الجليلة ومواكبتها بالتدرج ليبقى الشعر شاهدا عليها من خلال نظم قصائد ثورية ،وتقريبها من الثوار الشباب« بعثا للأمل وحشدا للهمم، وتحريضا على الجهاد، وعزفا على أوتار العاطفة بذكر حال الثكالى واليتامى والجنود للتحفيز على المضي قدما في مواجهة ظلم ووحشية الاستعمار الفرنسي» (5)

.

فالثورة التحريرية قد تجاوزت النظرة النمطية التي كانت تنادي بها بعض الأحزاب السياسية التي كانت موجودة في الساحة الوطنية حينها كتلك التي تبناها دعاة الإدماج والمساواة، والتي انتهجها بعض أنصاف الوطنين، إذْ فرضت عليهم من طرف جهات وصية أو كانت ضمن اللّعبة السياسية وقتها، فكل ذلك لم يخمد نيران الثورة الجزائرية المؤججة في كامل ربوع الجزائر، فكان الشعر يساير الثورة بوعي ومسؤولية تاريخية عظيمة فتعددت المواضيع الشعرية التي ضمنها الشعراء قصائدهم، ودواوينهم نذكر من بينها:**(التغني بأمجاد الوطن-التغني بالحرية- الدفاع عن مبدأ الاستقلال- الانتماء العربي**

الإسلامي- اللّغة العربية- التأريخ للبطولات والمعارك- تمجيد الثوار في معارك الشرف، بث الوعي بمختلف أشكاله، نقد الحكم السياسي- الموقف الأيديولوجي...) ،وغيرها من المواضيع الثورية التي طرقها الشاعر الجزائري رغبة منه في ربيع ديمقراطي حداثي.

-المحور الثاني: دويُّ الوطن والثورة في ثقافة الشاعر مفدي زكريا

عندما يرسم الشعر الثوري الجزائري صورا عن ثقافة الثورة الجزائرية المسلحة، فإنّه يقدّمها بصورة واقعيّة مبتعدًا إلى حد كبير، عن المبالغة والتضخيم أو المثالية، وغالباً ما يعود في تقديمه لشخصيات الثوار إلى الظروف التاريخية والاجتماعية التي رسمت شخصية الرجل الثوري، وقد يستعير المبدع بعض أدواته السياسية ومعانيها ورموزها وتواريخها وشخصياتها من أجل تبليغ رسالة ما للمتلقي الذي يساهم في التفاعل مع المثقف سياسيًا وتحفيزه للثورة المسلحة،« والدارس لشعر مفدي زكريا في مختلف مراحله يلاحظ تلك الناحية الثورية في أغلب قصائده، سواء منها تلك التي نظمها في زنزانات السجون خلال ثورة التحرير الكبرى، أو التي كان قد نظمها قبل ذلك والتي تعد إرهاصا ودعوة ثم تبشيرا بالثورة» [6] .

والمتتبع لتاريخ الثورة الجزائرية المجيد يجد أن النضال الثقافي الثوري بقي متواصلا بشكل دوري منذ أول يوم بدأ فيه المستعمر باحتلال الجزائري بداية من تاريخ "**1830م**" حتى عهد بداية المقاومات الشعبية التي غزت ربوع الجزائري وصولاً إلى انطلاق الثورة المسلحة التي دامت سبع سنوات ونصف عجافا، دفع الشعر الجزائري والشعب ثمنها غاليا من أجل الحرية« فلم يجد الشعر الجزائري مجالا خصبا لانطلاق وجدانه مثلما وجده في الثورة المسلحة، فعلى مدي سبع سنوات ونصف كانت الأحداث تتوالى والصور

تتنوع، فوجد فيها الشاعر المجال الواسع الخصب»[7]، فكانت حينها الثقافة الشعرية لـــــشاعر الثورة الجزائرية "**مفدي زكريا**" تنقل الأحداث، وتصور البطولات وتسجل المعارك وتمجد الأبطال في ساحات الوغى جنبًا إلى جنب مع الثوار، الذين تعددت آهاتهم ومصائبهم بداية من فقد الولد والزوج والأرض والعرض إلى التحدي والصمود للكيان الفرنسي في ساحات الشرف من أجل استقلال الجزائر، فكان" **مفدي زكريا**" الإنسان ينشد الحرية شعرا.

2-1. مفدي زكريا الشّاعر المجاهد/المثقف الثائر:

لقد دفعت الثورة الجزائرية جيل الشعراء إلى إثبات ذواتهم في الحياة الفكرية والسياسية، وهي التي أفرزت جيلاً من الشعراء الوطنين التزموا بقضية الثورة، حيث كان الشاعر الرمز" **مفدي زكريا** 1908- ت1977م" شاعرا فاق غيره في هذا الميدان حين شارك وتفاعل مع الثورة قبل أن تضرم نيرانها، فأضحت هي هدفه ينشدها في كل حفل ومهرجان، وبرز ذلك في دواوينه كـــ" **اللهب المقدس، إلياذة الجزائر**"،« التي نلمس فيها تلك الصور العارية بوجه الجزائر الحقيقي التي عانت من ويلات الاستعمار وقهره»[8] .

فكانت أخلاق الشاعر "**مفدي زكريا**" إبداعية وليدة الحرية النابعة من ضميره وإيمانه وتجربته الشعرية، موّجها طاقته الإبداعية لحياة أفضل حياة حرّة في ظلّ العدالة الإنسانية، التي رسم طريقها عن طريق النظم الذي تقدس بحرية الجزائر إلى أقصى الحدود التي تناغمت في قصائده مع الإيقاع الجمالي اللامتناهي الممزوج بطابع صوفي يترجى الحرية، وعليه ضرب شعر مفدي زكريا أروع النماذج الفنية والتاريخية التي احتفى بها الشعر الثوري العربي في ظلّ الحراك الثوري العربي الذي شهدته المنطقة العربية مع نهاية خمسينيات القرن الماضي.

وعليه فقد لعب شعر "**مفدي زكريا**" دورًا بطوليًا في تقديم صورة الثورة الجزائرية بشكل يليق بها محليًا ودوليًا، كما نجده قد مكّن للشعر الثوري الجزائري من اعتلاء مكانة عظيمة، فهو أحد أبرز المسهمين في حركة الشعر الجزائري الحديث وفي مسيرة التاريخ الشعريّ الجزائري بشكل عام، إذ كانت حياة الشاعر الممتدّة زمنيا بين**(1908/ت1977م)** حياة حافلة، بمختلف أساليب الكفاح الثوري بداية من بلدته بني يزقن مسقط رأسه بغرداية مرورا بتونس، ثم الجزائر العاصمة ثمّ دول المشرق العربي ليلخص بها مسيرة حرية شعبٍ أراد الحياة والتحرر من أغلال الاستعمار الفرنسي، ولعلّ أبرز إسهاماته في ذلك ديوانه: "**اللهب المقدّس**" و"**الإلياذة**" التي لخص فيها ثورة الشعب الجزائري من أجل الحرية والاستقلال، وبذلك ضربا مثلا في الصمود، والدفاع عن وطنه شعرا نفحاته الجزائر، وقد أعطى الدروس تلو الأخرى للدول العربية المناضلة في سبيل الحرية حتى يتسنى لهم الإقتداء به، واتخاذه رمزا ثوريًا عربيا للمقامة.

2-2. المواقف الإيديولوجية في شعر مفدي زكريا:

لقد تنوعت المشاهد البطولية والمواقف الإيديولوجية في مدونات شعر مفدي زكريا من خلال وصفه لمختلف نماذج الجهاد وبطولات نضال الثوار الجزائريين بداية من استشهاد البطل الرمز "**أحمد زبانه**" إلى تحدي "**مفدي زكريا**" لجنرالات فرنسا ووصولا إلى مشاهد تحديات المرأة الرمز "**جميلة بوحيرد**" التي ألهمت الشعر العربي باستماتتها في سبيل الحرية وصبر البطل الشهيد**(العربي بن مهيدي)** أمام تعذيب جلاديه من جنرالات فرنسا بعد نُزعت جلدة رأسه، فكل تلك النماذج كانت عوناً خصبًا للشاعر الجزائري من خلال التأريخ لبطولاتهم وصبرهم في سبيل كرامة الشعب الجزائري، وللعلم "**مفدي زكريا**" كان من أكثر الشعراء تأثرا ببطولات الثوار لأنه ذاق مرارة

السجن والتعذيب خاصة عندما يصرّح بأنّ الثورة الجزائرية كتبت بالدم فهو صادق في قوله ونظمه خاصة- "**اللّهب المقدس**" و"**الإلياذة**"- التي تحكي مسيرة الثورة وتؤرّخ لها ،وهذه بعض المشاهد الشعرية الثورية التي خلدها مفدي زكريا:

أ- صور البطولات الثورية:

تاريخ الجزائر الثوري مليء ببطولات المجاهدين خاصة من عهد "**الباي أحمد**" إلى "**الأمير عبد القادر**" الجزائري وصولا إلى الشاعر والمجاهد مفدي زكريا لـــ« ترفرف شخصية البطولة على الشعر الجزائري الذي استعاد مواقعه البطولية»[9]، فيقول الشاعر- **مفـــــــدي زكريا**- في هذا الصدد من ديوانه اللّهب المقدّس الأبيات الآتية:

« إذا ذكر التاريخ أبطال أمـــــة ** يخرّ لذكراك الزمان ويسجد
وإن تذكر الدنيا زعيما مخلدا ** فإنك في الدنيا الزعيم المخلد
فما خمدت نيران حربك لحظة ** وهيهات نيران الجزائر تخمد
حديثك تتلوه البنادق في الوغى ** نشيدا يغنيه الزمان نشـــيدا
وجيشك(عبد القادر) اليوم ظافر ** يحطم هامات الطغاة ويحصد»[10]

فعلا لقد كانت صورة المجاهدين تنطق في شعر **مفدي زكريا** إذ نجد أن شعره فجر« بطولات ساحرة لا مثالية وتجاوز الإحساس بالآلام الجسدية، واعتبر المعارك الضارية محافل، فلا بكاء على الشهيد، بل تشيعه الزغاريد»[11]،وهذا ما حدث أثناء مشهد تشييع البطل الشهيد "**أحمد زبانه**" أثناء تنفيذ حكم الإعدام عليه بالمقصلة، فكان أوّل شهيد يدشن آلة الموت في سجن "**بـــربروس**" سنة **1958**م ضاربا بذلك أروع مثال في التضحية والصمود ،فيقول فيه الشاعر على لسانه:

« اشنقوني فلست أخشى حبالا * واصلبوني فلست أخشى حديدا
وامـــتثل سافرا محـــــياك جلادي * ولا تلـــــــثم فلســـت حـــقودا
واقض ياموت في ما أنت قاض * أنا راض، إن عاش شعبي سعيدا
أنا إن مت، فالـــــجزائر تحـــيا ** حـــــــرة مستقلة، لن تبيدا»[12]

ونجد الشاعر مرة أخرى يقدم العهود والمواثيق لشهيد الثورة "**أحمد زبانه**" فيقول:

« يازبانا أبلغ رفاقك عـــنّا ** في السماوات، قد حفظنا العهـــودا
واندفعنا مثل الكواسر نـــرتل ** المـــنايا، ونـــلقـــي الـــــباروداً»[13]

ب- التغني بعشـــق الوطن:

وفي عشق الوطن نجد الشاعر **مفدي زكريا** يضرب لنا أروع النماذج الشعرية عن صدق الإحساس ومرارة التجربة التي عايشها أثناء حرب التحرير المباركة فيقول:

« أدخلونا السجـــون * جرعونا المنون**
ليس فينا خائنون * ينثني أويهون**
أجلدوا....عذبوا....
وأحرقوا....وأخرجوا...
لانمل الكفاح * لانمل الجهاد**
في سبيل البلاد» [14]

كما يصرّح بوفائه اللامتناهي وإخلاصه لوطنه من خلال تقديم الغالي والرخيس في سبيل الجزائر فيقول:

« فـــــداء الجزائر روحي ومالي * ألا فـــي ســـبيل الـــحرية**
فليـــحـــي(حزب الاستـــقلال) * و(نـــجم شمال إفـــريقية)**

وليحيَ شباب الشعب الغالي * مثال الفــداء والوطنية»** [15]

وعليه يتحدى الشاعر لغة النيران التي سلطها العدو الفرنسي على الشعب الجزائري الأعزل، ويصرح له أنه لا يخشاهُ مادام يعشق وطنًا يسمى الجزائر فيقول الشاعر في هذا الصدد:

« لغة القنابل ،في البيان فصــحة * وُضعت، لمن في مسمعــيه صمام
و(لوافــح) النيران، خير(لوائح) * رفعـــت لمن في ناظريه ركـــام
و(روائح) البارود، مسك نوافح * سجرت، لمن في منخريه زكام»[16]

ويواصل الشاعر دفاعه المستميت في سبيل كرامة الجزائر ويصور لنا قيمة هذا الوطن المقدّس في شعره مرددا :

« وقيل الجزائر..واصغِ إن ذكر اسمها * تجـــد الجبابرة ساجدينا وركّعا!
إنّ الجزائر في الوجــود رسالة * الشعب حــررها،وربك وقّــعا!
إنّ الجــزائر قطعــة قـــدســية * في الكون لحنها الرصاص ووقعا!
وقصــيدة أزليــة، أبياتها * حمراء، كان لها(نوفمبر) مطلعا» [17]

جـــ- ذمّ خيبات الأمل بعد الثورة:

لقد عانى الشاعر **(مفدي زكريا)** بعد الثورة ونيل الجزائر استقلالها حيث تم نفيه من قبل الرئيس الراحل **(هواري بومدين)** لموقف ما من السلطة السياسة حينها، وقد عانى التهميش من قبل الدولة الجزائرية فاختار دولة تونس الشقيقة منفى له، بينما هو كذلك طلب منه **(مولود قاسم نايت بلقاسم)** عندما كان وزيرًا للتعليم الأصلي والشؤون الدينية حينها القيام بعمل تاريخي تُمجد فيه الثورة الجزائرية بملحمة شعرية تخلدها، فكانت **(إلياذة الجزائر)**محاكاة حقيقة لإلياذة هوميروس الشاعر اليوناني الضرير، وهي العمل الذي خلدّت به ثورة الجزائر إذْ ضمنها العديد من الموضوعات ذات

المواقف الخالد بداية من صراع الكراسي بين الساسة والقادة، ونبذه لحالة الجزائر بعد الانقلاب العسكري الذي قام به الرئيس الراحل(**هواري بومدين**)،واتخاذه موقفًا معارضًا له، وأيضا نبذه لسلوكات الدولة نحو قضايا أساسية هُمشت وهي قضية الشباب الجزائري الذي نسي تاريخه وثقافته، فضاعت هويته العربية والإسلامية في ظلّ رياح الاشتراكية الشرقية، والرأسمالية الغربية وقضية تهميش المثقفين والثقافة بوجه عام، وإزاحة قضيبية المرأة الجزائرية، وحقها من التعليم والتثقيف، وعليه يقول الشاعر حول هذه المسائل الحسّاسة مندّدا:

« وتأبى الزعمات كبح الطموح، فتصنع للخلف شكلاً جديدَا
وتغري الكراسي ضعاف العقول، كنار جهنّم، ترجو المزيدَا
وتغزو السياسة فكر الزعيم، فيصبح فكر الزعيم بليدَا
كأنّ الزعامة إعصار جان ***ولم أرَ للجان عقلا رشيدَا
وما الانتصارُ دخول انتخاب* وضرب الموائد،ضربًا شديدَا »** (18)

وفي مسألة الشباب وتفسخ أخلاقه، ومحكاته لسلوكات الغرب نجد الشاعر (**مفدي زكريا**) يقف منهم موقفًا متألمًا لحالتهم المزرية فهذه المعضلة فيها ضياع للقيم ،وفساد للأخلاق على حساب هويته العربية الإسلامية، وهنا نجد الشاعر في حيرة من أمره حول صيانة الأصالة من طرف هذا الشباب الذي تعتمد عليه الأمّة الجزائرية في النهوض بمعركة التشييد والبناء بعد أن طمست هويته،وفُقدت كرامته، وضيّع تاريخه الثوري والبطولي، وفي هذا الصدد يقول:

« تفسّخ هذا الشباب وماعَا* وخرّب أخلاقه وتداعي**
فويلُ الجزائر والمسلمين*إذا دنس النشءُ هذي الطباعَا**
وكيف يسوس البلادَ غبيٌ*بليد أضاعَ الضمير فضاعَا !!؟؟**

ومن يطمئن لأقدار شعب* إذا استخلف الشعب فيها الضباعَا؟**
وكيف يصون الأصاله نــشء* وقد ساوموهُ عليها فـــــــباعَا؟**
وكيف ينيرُ الطريق شبابٌ*وقد طمسَ الرجس فه الشعاعَا؟ »** [19]

أمّا عن مسألة قضية الثقافة وسخافة أشباه المثقفين من المبدعين ونخبة المجتمع من هذه الفئة وسرقة جهود غيرهم من المثقفين، والانتقاص من دورهم في ريادة المجتمع وتصويب عيوبه، وتدارك خيباته المتراكمة عبر بوابة التاريخ الثوري، والثقافي الذي أصبح يلج من خلالها كل من تسول له نفسه أن يمتطيَ فرس الثقافة، وعليه يصورهم الشاعر قائلاً:

« وبعضهم،أعربو في السخافهْ*وبالجهل يحتكرون الثقافهْ**
وينتحلون أعزّ الكنى*ويمتهنون جلال الصحافهْ**
وبختلسون جهود سواهمّ* بدون حياء،ودون نظافه**[20]

في حين نجده يتناول قضية أخرى ذات أهمية،وهي قضية المرأة الجزائرية التي تمثل جيهة ثانية من جبهات المقاومة والتصدي لكل المواقف المعارضة لوجودها،ودورها التاريخي أثناء الثورة الجزائرية المباركة جنبًا إلى جنب بجانب أخيها الرجل المجاهد إلاّ أنّ دورها بعد الاستقلال قد انحرف نحو التخلي عن إعدادها لجيل جديد يدافع عن استقلال بلده عبر جميع الأصعدة،فهذا التخاذل من طرف المرأة الجزائرية سوف يكلفها الكثير خاصة فتح الباب أمام فرنسا لغزو الجزائر من جديد لكونها أصبحت لقمة سهلة بعد ضياع القيم وتخلي المرأة عن واجباتها الثورية،وفي هذا يقول الشاعر:

« فسحقًا لبنت تزّيفُ جيلاً* وتلعنُ فيها الدماءَ الدمَا...**
وتبًا لمجتمع خائر* تعيشُ الرجال به كالدمى !!!**
يموتُ وبقبرُ فيه الضمير، ويحمي البريء به المجرمَا

تعالي فرنسا... ادخلي بسلا*م فأبناء صلبك ملءُ الحمى.. !**

غدًا بالزغاريد يستقبلون، نزولك في أرضنا..بعدما..

وياقادة الشعب...إن دام هذا... أقيموا على شعبكم مأتمَا.. ! » (21)

وعن ظاهرة فساد أخلاق المجتمع الجزائري بعد ظهور موائد الخمور، وأصوات دعاة الفتنة بين أبناء الشعب الجزائري منتشرة هنا ،وهناك تبثّ سمومها في عقول ضعاف الأنفس من أجل تقسيم وحدة تماسك الجزائريين فيما بينهم، كما نجد – **مفدي زكريا**– يسأل عن التناقضات التي سادت قيم الشعب الجزائري الذي بات يتغنى بصوت المعازف، ويستنكر صوت الآذان رُغم الهوية العربية الإسلامية التي تعتبر من مكوناته الأساسية التي قامت عليها ثورته التحريرية المباركة، إذ يقول الشاعر حول هذا المأزق التاريخي:

« وأعراس خمرٍ، تراق على* كساكسَ تقرف منها اللّهاةْ**

وصوتُ دعاة الهزيمة يغري الضلوع،ويزرعُ فيها الممات

أيطر بكم في الحي ناعقٌ،* وتستكرون آذان الصلاةْ؟**

وفوق المئاذن صوت الإله، يقود الشراع لشاطيء النجاةْ » (22)

لقد بات المثقف الجزائري بعد الثورة الجزائرية المباركة مهمشًا سياسيًا بالرغم من مساهمته الفعّالة في بناء الدولة الجزائرية الحديثة، وفي التطوير الاقتصادي والاجتماعي، وهذا الأمر عايشه الشاعر **(مفدي زكريا)** بعد الثورة والاستقلال مباشرة، بعد موقفه المعارض من السياسية حينها، فلم تغفر له موقفه ذاك ،وهذا الأمر الجلل جعله يختار المنفى كمستقر قار له في ظلّ ظروف سياسية متشنجة، ومع ذلك بقي مخلصًا للجزائر وطنه الأبدي ، ولا يطعن في وجوده التاريخي رغم كيد الحاقدين والطامعين.

وعمومًا بقيت النظرة الارتجالية للمثقف كما هي لم تتغير حتى يومنا الحالي خاصة مع تزايد عدد النخبة المثقفة الجزائرية فإنّ الفرصة في

المشاركة المباشرة للبثّ في القضايا السياسية المصيرية التي تهمّ الوطن بات أمرًا مرفوضًا في ظلّ هذا الوضع الراهن لم يبقَ أمام المثقف الجزائري سوى المطالبة بحقه في التسيير ودوره التنمية والبناء،ومن المعروف أنّ الشعراء تحملوّا جزءًا كبيرًا من الهموم ،والصراعات التي دفع أغلبهم ثمنها من حياتهم واستقرارهم النفسي والاجتماعي على مرّ التاريخ الثوري الجزائري.

- التوصيات:

1- ضرورة البحث في الشعر الثوري الجزائري من خلال إبراز دور المثقف فيه.

3- يجب التأكيد على دور المثقف التاريخي في عملية الحفاظ على التاريخ الفكري الثوري للأمة التي يدافع عليها.

3- إبراز دور المثقف في حماية الوطن من كلّ الأخطار التي بات تحيط به وتؤثّر عليه سلبا في تحقيق التفاعل الثقافي والفكري مع مجتمعه قاطبا.

- خاتـــمة:

من كلّ ما سبق ذكره عن أهمية الشعر الثوري نصل إلى ضرورة النهوض به إعلاميًا وتاريخيًا وثقافيا من خلال المؤسسات الرسمية المحلية والدولية من أجل الارتقاء بهذا الإرث المادي الذي هو ملك للإنسانية جمعاء،كما يعدّ البحث والتقصي في مسيرة شعر " **مفدي زكريا**" الثوري أمرًا لا مفرّ منه من أجل إظهاره تدريجيًا على كلّ الأصعدة التاريخية والجمالية والتراثية لما في هذا الإرث من أهداف تجمع بني الشعب الجزائري،وتدافع عن دور المثقف في الدفاع عن مقدسات الوطن المادية والمعنوية في ظلّ

أزمات الراهن العربي التي نشهدها الآن ضمن ما يسمى بنظرية المؤامرة الغربية وتقسيم المنطقة العربية وتفتيتها إلى قبائل متناحرة هنا وهناك.

قائمة المصادر والمراجع:

أ- المصادر:

[1] زكريا مفدي: إليادة الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الرغاية ،الجزائر،ط1، 1987.

[2] زكريا مفدي: اللّهب المقدس، المكتب التجاري،بيروت،لبنان،ط1،1961.

ب- المراجع:

[1] خالد الكركي: الرموز التراثية العربية في الشعر العربي الحديث، دار الجيل، بيروت، لبنان، مكتبة الرائد العلمية، عمان، الأردن، ط1، 1980، ص21.

[2] نبيل سليمان: أسئلة الواقعية والالتزام، دار الحوار للنشر والتوزيع سوريا،ط1 ،1980، 93.

[3] مجموعة من الأساتذة: التراث الشعبي في عالم متغير (قراءة تأسيسية)،مركز البحوث والدراسات الاجتماعية،القاهرة،مصر،ط1، 2002،ص10.

[4] رضا عامر: مقاربة سيميائية في عنوان ديوان بسمات من الصحراء، مجلة الباحث،ع04،منشورات جامعة البويرة-2008، ص107.

[5] سعيدة حمزاوي: في الأغنية الثورية الأوراسية، مجلة التبيين، منشورات الجمعية الثقافية الجاحظية، الجزائر،عع32،2009، ص81.

[6] محمد فاضل: الثورة والنضال في شعر مفدي زكريا، مخطوط رسالة دكتوراه، إشراف حامد حفصي داود، جامعة الجزائر،1980،ص 81.

[7] المرجع نفسه، ص .108

[8] المرجع نفسه، ص 154.

[9] المرجع نفسه،ص111.

[10] زكريا مفدي: اللّهب المقدس، المكتب التجاري،بيروت،لبنان،ط1،1961، ص51.

[11] محمد فاضل: الثورة والنضال في شعر مفدي زكريا،ص112.

[12] زكريا مفدي: اللّهب المقدس،ص100.

[13] المصدر نفسه، ص12.

[14] المصدر نفسه، ص84.

[15] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[16] المصدر نفسه، ص134.

[17] المصدر نفسه، ص55.

[18] زكريا مفدي: إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الرغاية ، الجزائرط1، 1987، ص65.

[19] المصدر نفسه، ص97.

[20] المصدر نفسه، ص101.

[21] المصدر نفسه، ص105.

[22] المصدر نفسه، ص112.